أما عن اللفظ نفسه، فورد من الآيتين في موضعين، بينهما اختلافٌ قليل، وتشابُه كذلك:

﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾، ﴿وظنَّ داود أنما فتنَّاه﴾ فأما الاختلاف، فهو في موضوع مفعول الظن في كلٍّ من الآيتين، ففي الآية الأولى ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾، علم الثلاثة أو ظنوا أن عليهم أن يتوبوا، وهو معنى قوله ﴿لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ فاللجوء إليه هو التوبة والرجوع عن الذنب ﴿فتاب عليهم﴾ الله سبحانه ﴿ليتوبوا﴾ ﴿ليدوموا على التوبة ولا يراجعوا ما يبطلها﴾ [1] وكان هذا الاستيقان آخر مراحل توبتهم وأعلاها، وهو أنهم: «لما يئسوا من الخلق علقوا أمورهم بالله، وعلموا أنه لا يخلِّص من الشدة ولا يفرجها إلا هو تعالى»[2] أما في الآية الثانية، فكان موضوع مفعول الظن هو إدراك الخطأ، ﴿وظن داود أنما فتنَّاه﴾. فمفعول الظن هنا هو وقوع داود في الفتنة، فتنة الخطأ وبلائه، وهو قول المفسر: ﴿أنما فتناه﴾: «أوقعناه في بلية بمحبته تلك المرأة» [3] فلما تنبه عليه السلام لذلك، وعرفه في نفسه، أتبعه بالاستغفار والإنابة.

واختلاف موضوع المفعول في كلٍّ من الجملتين (معرفة الخطأ) أو (معرفة طريق الرجوع عنه والتطهر منه)، هذا الاختلاف، لا يتعارض مع التشابه بين الجملتين نفسيهما؛ ذلك أن هذين المفعولين المختلفين في ظاهر معناهما، ليسا مختلفين في حقيقتهما؛ كون كلٍّ واحد منهما هو نفسه اللحظة المحورية، التي انتقل بها الإنسان في القصة من حال الذنب وكربه إلى فرج التوبة وسعتها، إذ إن معرفة الخطأ والتيقن منه هما بداية طريق التوبة. **وهكذا تتفق الآيتان في مؤدَّى مفعول الظن رغم اختلاف ظاهر معنى كل منهما عن الآخر. هذا المؤدى، هو الخروج بسبب مفعول الظن أو بوساطته، من حال الاستغراق في الذنب إلى حال البراءة منه، وهو خروجٌ لا يكفي لتحقيقه مجرد الرجحان أو الحسبان.**

وهذا يقودنا إلى ثاني أوجه التشابه بين الآيتين، وهو أنَّ الظنَّ في القصتين وقع على أمر صحيح، أو كما يقال (صدق الظن)، ودليل هذا قبول الله التوبة، وإلا كيف تقبل توبة عن أمرٍ لم يقع، فقد كان الظن إذن، ظنا بما هو حق.

---

(١) البحر المحيط، ج٥، ص٥٢٠. (٢) نفسه، ص٥٢٠.

(٣) تفسير الجلالين ج٣، ص٥٦٩ على هامش حاشية الجمل، المكتب الثقافي، القاهرة (د.ت).